باب التقريظ والانتقاد

في الشعر الجاهلي

تأليف الدكتور طه حسين استاذ الآداب العربية في كلية الآداب بالجامعة المصرية

الشك اول مراتب اليقين . ويقول الانكليز ما مفادهُ « ان الشك مع الاخلاص ايمان مضاعف » . نحن ابناء العربية اكثرنا مقيم في مصر والشام والعراق ولهذه البلدان عمران قديم يرجع الى ستة آلاف سنة او اكثر ولم تزل آثارهُ الفنية والادبية والعلمية ماثلة امام عيوننا منقوشة في الصخر ويشار اليهِ فيما كتبهُ مؤرخو اليونان والرومان منذ اكثر من الفي سنة فنتوق نفوسنا ان نرى مثلهُ في تاريخ الامة التي ورثناها ورينا فيها فلا نجد شيئاً من ذلك الاَّ فيما وصل الينا من الشعر الجاهلي وهو لا يبعد بنا الى اكثر من الف وخمسمائة سنة فمن يجسر ان يطعن في قدمهِ ويجرّد ابناء العربية من ميراث يفاخرون بهِ على قلتهِ ولو جاء بعد مفاخر المصريين والاشوريين والفينيقيين بألوف من السنين . هذا الطعن بل الشك في نسبة الشعر الجاهلي خطر لنا منذ نحو سنتين ستة حينما قرأنا قصة عنترة العبسي ثم تكرر مراراً بعد ذلك الى الصيف الماضي فتهيبناهُ . فهل اقدم عليهِ الدكتور طه حسين غير هيَّاب ولا وجل

جاءنا كتابهُ ونحن على اهبة السفر لنقضي يومين في اطيان لنا وقد اصاب عنوانهُ غرضاً في النفس والمؤلف مدقق والكتاب صغير الحجم لا يتجنبهُ من سئم مطالعة الكتب فأبطأنا وقلنا خيراً وشرعنا نطالعهُ غير « ساخطين » ولا « مزورّين » لاننا كنا نبحث فيهِ عن الادلة التي استدلَّ بها والاسانيد التي اعتمد عليها . فصفحنا المقدمة الى ان وصلنا الى قولهِ « ان الكثرة المطلقة مما نسميهِ شعراً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء وانما هي منتحلة مختلقة بعد ظهور الاسلام ... واكاد لا اشك في ان ما بقي من الشعر الجاهلي الصحيح قليل جداً لا يمثل شيئاً ولا يدل على شيء » . فوقفنا وقفة المرتاب لانهُ اذا وجد شعر جاهلي صحيح فالمرجح انهُ يمثل حالة قائليهِ ويمثلهم لان الشعراء في البداوة يعبرون عمَّا في نفوسهم ويصفون ما يحيط بهم وهذا نراهُ فعلاً في بعض الشعر الجاهلي ويراهُ المستشرقون الذين اطلعوا عليهِ حتى ليفضلوهُ على الشعر العصري من هذا القبيل

وبعد المقدمة دخل الاستاذ ميدان البحث دخول مبارز متخلياً عن كل ما يعوقهُ في بحثهِ فقال «يجب حين نستقبل البحث عن الادب العربي وتاريخهِ ان ننسى قوميتنا وكل مشخصاتها وان ننسى ديننا وكل ما يتصل بهِ وان ننسى ما يضاد هذه القومية وما يضاد هذا الدين يجب ان لا نتقيد بشيء ولا نذعن لشيء الاَّ منهاج البحث العلمي الصحيح ذلك انَّا اذا لم ننسَ قوميتنا وديننا وما يتصل بهما نضطر الى المحاباة وارضاء العواطف ونغل عقولنا بما يلائم هذه القومية وهذا الدين»

وكل هذا الفصل الممنون «بمنهج البحث» عظة من المواعظ التي لا بدَّ من العمل بها اذا اردنا ان يكون لشرقنا حياة علمية

ثم فصَّل ما اجملهُ فيما تقدَّم وبيَّن ان لغة الشعر الذي وصل الينا لم تكن لغة كل قبائل العرب في الجاهلية . قال « ولكنك تقرأ هذه المطولات او المعلقات التي يتخذها انصار القديم نموذجاً للشعر الجاهلي الصحيح فترى ان فيها مطولة لامرىء القيس وهو من كندة اي من قحطان . واخرى لزهير واخرى لعنترة وثالثة لعبيد وكلهم من قيس . ثم قصيدة لطرفة وقصيدة لعمرو بن كلثوم وقصيدة للحارث بن حلزة وكلهم من ربيعة . نقرأ هذه القصائد السبع دون ان تشعر فيها بشيء يشبه ان يكون اختلافاً في اللهجة او تباعداً في اللغة او تبايناً في مذهب الكلام . البحر العروضي هو هو وقواعد القافية هي هي والالفاظ مستعملة في معانيها كما تجدها عند شعراء المسلمين والمذهب الشعري هو هو . فنحن بين اثنين اما ان نؤمن بانهُ لم يكن هناك اختلاف بين القبائل العربية من عدنان وقحطان في اللغة ولا في اللهجة ولا في المذهب الكلامي . واما ان نعترف بان هذا الشعر لم يصدر عن هذه القبائل وانما حمل عليها حملاً بعد الاسلام ونحن الى الثانية اميل منا الى الاولى . فالبرهان القاطع قائم على ان اختلاف اللغة واللهجة كان حقيقة واقعة بالقياس الى عدنان وقحطان»

هذا ما قالهُ الاستاذ ولكنهُ لو انعم نظرهُ في اللهجات العربية الشائعة الآن في مصر والشام والعراق وتونس والجزائر والمغرب الاقصى بل في القطر الواحد كما في الوجه القبلي والوجه البحري لترجح لهُ ان الاختلاف بينها لا يقل عما كان بين لهجات قبائل العرب ومع ذلك فالاشعار التي ينظمها شعراء هذه البلدان متماثلة لا يختلف بعضها عن بعض الاَّ كما يختلف شعر شاعرين من بلد واحد . ولكن اذا كان الاختلاف قائماً في نفس اللغة كما بين لغة حمير ولغة مضر تعذر ان يكون لنا نوع واحد من الشعر وان وجد شعر منسوب الى حمير وهو بلغة مضر فهو مصنوع ولو ترجيحاً

انتقل بعد ذلك الى اسباب انتحال الشعر فذكر اسباباً وجيهة جداً ونظن ان كل من يقرأ ما كتبهُ من الصفحة ٤٧ الى الصفحة ١٢٤ يترجح لهُ ان الشعر المنسوب الى الجاهلية مصنوع اكثرهُ او كلهُ

وبعد هذا الاجمال استطرد الى التفصيل فبدأ بذكر امرىء القيس المعدود اشعر شعراء العرب فمحاهُ من الوجود كشاعر وربما نفاهُ ايضاً كرجل مستدلاً على ذلك بادلة كثيرة كادت تقنعنا بصحة نفيهِ لولا انها ذكرتنا بكتاب قرأناهُ في صبانا للدكتور هوبتلي رئيس اساقفة دبلن وقد كان من اكبر علماء المنطق في البلاد الانكليزية فانهُ تألم من الذين انكروا صحة ما جاء في الانجيل عن السيد المسيح فالف هذا الكتاب واقام فيهِ الادلة النقلية والعقلية على ان نبوليون بونابرت شخص وهمي لم يوجد. لكن اذا صح ما نقلهُ صاحب «شعراء النصرانية» في ترجمة امرىء القيس وهو ان مؤرخي الروم ذكروهُ في تواريخهم فلا ينتفي وجود الرجل و يقصر النفي على نسبة الشعر اليهِ . ثم ان السر تشارلس ليل ذكر امرئ القيس في المقدمة التي قدمها لديواني عبيد بن الابرص وعامر بن الطفيل وذكر ما يروى من التجائهِ الى قيصر كانهُ امرٌ مقرر

وجاء في الانسكلوبيديا البريطانية المطبوعة سنة ١٩١١ في ترجمة امرىء القيس انهُ اخذ كتاب توصية من الحرث الغساني الى الامبراطور يوستنيانوس و بعد ان اقام مدة في القسطنطينية جُعل اميراً (فلوخرساً) على فلسطين وسيرهُ يوستنيانوس الثاني اليها بكتيبة من الجند . لكن كاتب هذه الترجمة لم يذكر السند الذي استند اليهِ

ومن الغريب ان ابا تمام لم يذكر امرىء القيس في حماستهِ مع انهُ كان في اوائل القرن الثالث الهجري فهل غفل عنهُ او كان شعرهُ لم يوضع الى ذلك الحين

ثم تناول عبيد بن الابرص فنفاهُ ايضاً واحتقر ما ينسب اليهِ من الشعر . مع ان السر تشارلس ليل وهو اكبر المستشرقين الانكليز طبع ديوان عبيد بن الابرص وديوان عامر بن الطفيل سنة ١٩١٣ عن نسخة كتبت في اوائل القرن الخامس الهجري بعد ان ترجمها الى الانكليزية . وفي ديوان عبيد ثلاثون قصيدة عدا المقاطيع التي وجدها السر تشارلس واكثرها بدوي محض كالقصيدة السابعة والعشرين التي مطلعها

لمن الدار اقفرت بالجناب غير نؤي ودمنة كالكتاب

واغفل ابو تمام شعر عبيد بن الابرص من حماستهِ وذكرهُ في شعرهِ ولكن الامام التبريزي استشهد بشعرهِ حيث قال

فان قتلتُ فلا تركب لثأر بي وان سرضت فلا تحسبك عوّادي

فهل وضع شعرهُ بين زمن ابي تمام وزمن التبريزي . ولم نر هذا البيت في الديوان الذي نشرهُ السر تشارلس نبل

وانتقل الاستاذ طه حسين الى عمرو بن قميئة والمهلهل وجليلة امرأة اخيهِ فالحقهم بامرىء القيس وعبيد بن الابرص فلم نأسف الاَّ على جليلة فاننا نود ان تكون هي صاحبة الرثاء الذي نسب اليها

ثم اشار الى عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وطرفة بن العبد والمتلمس . واعجبهُ شعر طرفة فوصفهُ احسن وصف وقال « لست ادري اهذا الشعر قد قالهُ طرفة ام قالهُ رجل آخر وانما الذي يعنيني هو انما هذا الشعر صحيح لا تكلُّف فيهِ ولا انتحال . وختم الكتاب بالاشارة الى بحث آخر لعلهُ اصعب من البحث الذي طرقهُ الآن وهو كيف نشأ الشعر العربي . وعسى ان يجعلهُ موضوعاً لدروس اخرى يتحف بها تلاميذهُ وقراءهُ

و بعدُ فقد اشرنا في صدر هذه السطور الى امر تمهيدهُ ووعدنا بان نعود اليهِ فنقول جاءتنا مجلة الجمعية الايسوية في برليو الماضي وفيها مقالة ممتعة للمستشرق المحقق الدكتور مرغوليوث استاذ العربية في جامعة أكسفرد موضوعها « اصل الشعر العربي » وخلاصتها الشك في نسبة الشعر الجاهلي . وقد اقام على ذلك ادلة كثيرة اقواها اننا نرى ذكر الشعر والشعراء في آيات كثيرة من القرآن على اسلوب يظهر منهُ أن العرب كانوا يفهمون بالشعر غير ما نفهمهُ الآن اعني ان شعرهم لم يكن الكلام الجاري على الصناعة الشعرية من بحور الشعر وقواعدهِ المعروفة عندنا فليس هو كالشعر المنسوب الى عرب الجاهلية

ومن هذا القبيل ورود كلمات وجمل ومعانٍ في الشعر الجاهلي واردة في القرآن دلالة على ان اصحابها اقتبسوها منهُ كقول عبيد بن الابرص

حلفت بالله ان الله ذو نعم لمن يشاء وذو عفو وتصفاح

وقولهِ مَن يسأل الناس يحرموهُ وسائل الله لا يخيب

وقول ذي الاصبع

الله يعلمكم والله يعلمني والله يجزيكم عني ويجزيني

وقول جليلة اخت جساس

اني قاتلة متنولة ولعلَّ الله ان يرتاح لي

والاستشهاد بالله كقول الحرث بن عباد

لم اكن من جناتها علم الله وانني بحرّها اليوم صالِ

وانهُ رب العالمين كقول الاسود

اقول لما اتاني هلك سيدنا لا يبعد الله رب الناس مسروقا

وفي سورة هود «تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنتَ تعلمها انت ولا قومك من قبلُ» الآية .والاشارة هنا الى طوفان نوح.وفي سورة الشعراء « اني لكم رسول امين» ولكن جاء في الشعر المنسوب الى النابغة الذبياني ذكر نوح وذكر امانته ايضاً بقولهِ

فالفيت الامانة لم تخنها كذلك نوح لا يخونُ

وفي سورة الانفال «تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم» الآية وقال ذو الاصبع

فان ترد عرض الدنيا بمنقصتي فان ذلك مما ليس يشجيني

والمنتظر من شعراء الجاهلية ان يكثروا من ذكر معبوداتهم وألاَّ يحلفوا إلاَّ بها ولكننا نرى انها اذا ذكرت في اشعارهم ذكرت بشيء من الامتهان كقول اعشى قيس

حلفت بالمح والرماد وبالعزّى وباللاتِ تسلم الحلقه

وذكر الاستاذ مرغوليوث ادلة غير هذهِ واقاض في وصف ما فعلهُ الرواة من صنع الشعر وما جاهر بهِ النقّاد من ان اكثر الشعر المنسوب الى عرب الجاهلية مصنوع واستشهد بما قالوهُ في هذا الموضوع

هذا . ولنعد الى كتاب الاستاذ طه حسينٍ فنقول ان ادلتهُ منطقية جلية تحمل قارئها على التسليم بصحة نتيجتها او على الاعتراف بقوتها . وقد جرى فيهِ على اسلوب محكم من البحث العلمي الصحيح الذي لا بدَّ منهُ اذا اردنا الوصول الى الحقائق . والكتاب مطبوع طبعاً حسناً جداً في مطبعة دار الكتب المصرية

تقرير مصلحة الصحة لسنة ١٩٢٢

جاءنا تقرير مصلحة الصحة لسنة ١٩٢٢ و يقال فيهِ انهُ طبع في المطبعة الاميرية سنة ١٩٢٦ ولا ندري لماذا تأخرت المطبعة الاميرية في طبع هذا التقرير او لماذا تأخرت مصلحة الصحة في اعدادهِ وارسالهِ اليها ليطبع.وقد اقتطفنا منهُ الفوائد التالية

اولاً ان نسبة المواليد بلغت ٤٣٦٣ في الالف سنة ١٩٢٢ وكانت ٤٢٠٣ في الالف

سنة ١٩٢١ فالزيادة نحو واحد في الالف . ونسبة الوفيات بلغت ٢٥٫٢ في الالف سنة ١٩٢٢ وكانت ٢٥٫٣ في الالف سنة ١٩٢١ ولكن العبرة ليس في ذلك بل في زيادة المواليد على الوفيات وهي ١٨ في الالف او واحد وثمانية اعشار في المائة وهذه زيادة نادرة جدًّا في المسكونة فقد كانت زيادة المواليد على الوفيات في انكلترا سنة ١٩٢٢ نحو ثمانية في الالف وفي فرنسا اقل من ستة في الالف وفي ايطاليا نحو ١٢ في الالف. فاذا استمرت زيادة السكان في القطر المصري على هذا المعدل وكان عددهم الآن ١٤ مليونًا بلغوا في عشرين سنة عشرين مليونًا

والزيادة في القاهرة	١٧	في الالف	في مديرية المنوفية	١٨٫٧	في الالف
وفي الاسكندرية	٣٢٫٥	» »	» » القليوبية	١٨٫٤	» »
وفي الاسمعيلية	٢١٫٥	» »	» » الشرقية	١٤٫٨	» »
وفي بورسعيد	٢٦٫٦	» »	في اسيوط	١٧٫٩	» »
وفي دمياط	٣٦	» »	» اسوان	١٦٫٢	» »
وفي السويس	١٥٫٨	» »	بني سويف	٢٢٫	» »
وفي الصحراء الشرقية	٢٦٫١	» »	الفيوم	١٩٫٣	» »
» » الغربية	٦٩٫٨	» »	جرجا	١٧٫٢	» »
» » سينا	٥٠	» »	الجيزة	٢٢٫٨	» »
في مديرية البحيرة	١٤٫٤	» »	المنيا	١٦٫٦	» »
» » الدقهلية	٢٠٫٧	» »	قنا	١٧٫	» »
» » الغربية	١٦٫٧	» »	ومتوسط القطر كله	١٨	» »

ومما يفيد الوقوف عليه في هذا التقرير الاختلاف الكبير في وفيات الاطفال الذين عمرهم اقل من سنة بمدن القطر فان اقلها ٢٨٫٥ في الالف في طنطا واكثرها ٤٢٫٤ في الالف في المنيا . وفي اختلاف نسبة الوفيات من الاطفال ومن السكان كلهم باختلاف المدن والمديريات مجال للنظر ليعلم أهو من قلة الاطباء ام من نقص التعليم ام فساد الهواء ام ازدحام السكان . هذه مسألة يحسن بالباحثين في الاماكن التي تكثر فيها الوفيات ان يبحثوا عن اسبابها لتزال . والتقرير كبير مسهب وسنعود الى بعض فصوله ونستخرج منهُ ما يمكن استخراجهُ من العبَر

الشوقيات

لقد رجونا مع غيرنا من ابناء العربية ان يُنشَر ما جادت به قريحة امير الشعراء في كتاب واحد . فحقق الرجاء وصدر الجزء الاول من هذه النفائس وعليها شرح يفسر ما حسبهُ الناشر غامضاً من الفاظها ويبين ما اشارت اليه من المهام . وقد خدمها العلّامة المحقق الدكتور محمد حسين هيكل بمقدمة لم تبقِ لمقرّظ ما يقولهُ لانها احاطت بكل ما في الديوان من المعاني وما اكثرها . فان شوقي بك واسع الروية واسع الخيال انقادت المعاني الى قريحتهِ من تدين وتاريخ وسياسة وحماسة وفلسفة وزهد ووصف ومدح وغزل ونسيب . ففي كل قصيدة من قصائدهِ معانٍ مبتكرة وقضايا اثبتها الاختبار واخبار حققتها الايام وحكم جرت مجرى الامثال كأنهُ احاط بما في الكون ماضيهِ وحاضرهِ برويّة واسعة ومبدأ فيّاض . ما كذلك عهدنا شعراء العربية في التوسع والاستقصاء حتى اننا لما قابلنا شعر المعري بشعر ملتن منذ اربعين سنة (مقتطف مايو سنة ١٨٨٦) انتهت بنا المقابلة الى ان قصائد ابي العلاء كادواح قائمة بنفسها مستقلة بغرسها . واما قصائد ملتن فكالمدن الكبيرة والبحار الواسعة والمكاتب الجامعة الى آخر ما ذكرناهُ هنالك.

ولم يزل هذا رأينا في التباين بين الشعر العربي والشعر الافرنجي او بين الشعر السامي والشعر الاري الى ان صدر هذا الجزء من الشوقيات مصدّراً بالهمزية التي قالها شوقي بك في المؤتمر الشرقي بجنيفا سنة ١٨٩٤ وصفاً لكبار الحوادث التي حدثت في وادي النيل فاذا هي من نوع الشعر الذي امتاز بهِ الاريّون . حوادث تاريخية من عهد رعمسيس الى عصر الخديوي توفيق سردها والبسها من البيان حللاً سابغة وجارى بها المؤرخين من مدح وذم حسبما كان معروفاً واعتذر عن قصّد الاولين لغير الخالق بان عقولهم كانت في صباها الى ان جاء موسى وولد عيسى واجاد في وصف عيسى فقال

وُلد الرفقُ يوم مولد عيسى ... والمروءاتُ والهدى والحياء
وازدهى الكون بالوليد وضاءت ... بسناهُ من الثرى الأرجاء
وسرت آية المسيح كما يسـ ... ـرى من الفجر في الوجود الضياء
تملأُ الأرض والعوالمَ نوراً ... فالثرى ماثج بها وضّاء
لا وعيدٌ ، لا صولة ، لا انتقام ... لا حسام ، لا غزوة ، لا دماء
ملكٌ جاور التراب فلما ... ملّ نابت عن التراب السماء

وأطاعته في الإله شيوخ خُشَّع خُضَّع له ضعفاء
أذعن الناس والملوك الى ما رسموا والعقول والعقلاء

والتدين جزء كبير من شعر شوقي على خلاف ما عليه كثيرون من نوابغ الشعراء كالمتنبي والمعري وان كان قد خص السيد المسيح بابيات هنا وهنالك فقد عقد للنبي محمد قصائد غراء حتى لقّبهُ الدكتور هيكل بك شاعر الاسلام وعندنا انهُ شاعر الشرق والغرب شاعر الغرب في وصف ما حازهُ من الرقي المادي والادبي اغراء لابناء الشرق به ، وشاعر الشرق لانهُ بسط تاريخهُ ونشر آدابهُ واشاد بمفاخره ولا سيما بمفاخر الاتراك وفعالهم في حروبهم فترى قصائدهُ فيهم تبث الحماسة في النفوس كأنهُ نبوليون يخطب في جنودهِ او هوميروس يصف ابطال بلادهِ. هاك بائيتهُ التي وصف بها الوقائع العثمانية اليونانية لا نظن ان احداً قرأ ما قالهُ عن القائد الباسل الحاج عبد الازل وفرسهِ الاَّ كرَّر تلاوتهُ مراراً بطرب وحماسة . واي كلام اوقع في النفوس من قولهِ بلسان عبد الازل وقد قيل لهُ ليترجل عن جوادهِ لانهُ عطب فقال

ذروني وشأني والوغى لا سبالياً الى الموت امشي ام الى الموت اركب

ثم استطرد الى الحكم والعبر وجوامع الكلم فقال

وما شهداء الحرب الاَّ عمادها وان شيد الاحياء فيها وطنبوا
مداد سجلّ النصر فيها دماؤهم وبالتبر من غالي ثراهم يترَّب

وهو يرقب الاتراك بعين الصديق الودود او العاشق الولهان يبتهج بفوزهم فيشيد بذكرهم ويجلهم اسمى محل في الخافقين واذا حسب انهم اخطأوا لجَّ في العتاب بل في التوبيخ والرثاء وهو في ذلك لجوج ككل محب لا ينتظر العاقبة بل يتولاهُ الحاضر فيرهقهُ كما ترى في بائيتهِ في خلافة الاسلام حيث قال

ان الذين امتّ بعراحك حربهم قتلتك سلمهم بغير جراح
هتكوا بايديهم ملاءة فخرهم موشيَّة تجواهب الفتاح

ثم احسن التعليل عن ملامتهِ واستطرد الى الوعظ والحكم فقال

استغفر الاخلاق لستُ بجاحد من كنتُ أدفع دونهُ والاحي
مالي اطوقهُ الملام وطالما قلدتهُ المأثور من امداحي
هو ركن مملكة وحائط دولة وقريع شهباء وكبش نطاح
أأقول من احيا الجماعة ملحد واقول من ردَّ الحقوق اباحي

الحق اولى من وليك حرمة واحق منك بنصرة وكفاح
فامدح على الحق الرجال ولهمو او خلّ عنك مواقف النصّاح

وعسى ان يرى بعد هذه الملامة ما يستوجب المدح فيمدح كما رأى بعد عبد الحميد ما يستوجب اللوم فلام . وممّا يجري هذا المجرى القصيدة التي عنّف بها رياض باشا سنة ١٩٠٤ ومطلعها

كبير السابقين من الكرام برغمي انّ اتاك بالملام
مقامك فوق ما زعموا ولكن رأيت الحق فوقك في المقام
احبّتك البلاد طويل دهر وذا ثمن الولاء والاحترام
خفرت لها زماماً كنت فيه لعوباً بالحكومة والذمام

لكن نفسهُ الزكية وادبهُ الجم ابيا عليهِ ان يبقي في نفسهِ ضغينة فقال بعد سبع سنوات في رثائهِ (سنة ١٩١١)

ممات في المواكب ام حياةٌ ونعش في المناكب ام عظات
وخطبك يا رياض ام الدواهي على انواعها والنازلات
يجل الخطب في رجل جليل وتكبر في الكبير النائبات
اجل حُملتَ على النعش المعالي ووسّدتِ التراب المكرمات
ابا الوطن الاسيف بكتك مصر كما بكت الاب الكهف البنات
قضيتَ لها الحقوق لتى وكهلاً ويوم كبرت واخت الفتاة
فكنتَ على حكومتها سراجاً اذا بسطت دجاها المشكلات
تسوس الامر لا يعطى تفاذاً عليك الآسرون ولا النهاة
صفات بلغتك ذرى المعالي كذلك ترفع الرجل الصفات

ثم اعتذر اعتذار كريم عمّا آخذهُ بهِ فقال

اخذتك في الحياة على هنات واني الناس ليس لهُ هنات

والمرثاة طويلة ملأت اربع صفحات من المقتطف وكلها غرر ودرر ومواعظ وحكم وحث على التيقظ والحيطة واخذ بالامور بالحزم

وقد لام لورد كرومر باشد مما لام رياض باشا ولو عرف من امره ما نعرف وما كان يثنيهُ لمصر لاعتذر عن لومهِ ورثاءُ احسن رثاء على ما ترجح

وهو شديد الشعور قوي البداهة معرّض للتأثر بالمؤثرات فلا يستطيع التريث اذا رأى

ما بضرامتهُ ووطنهُ بل يندفع اندفاع السيل. ولولا ذلك ما كان شوقي بالشاعر الذي نعرفهُ

هذا اما شاعرية شوقي فقد اجمع الخافقان على انها في الاوج الاعلى فلا يستطيع وصفها الاَّ شاعر يدانيهِ . فنقف عند هذا الحد ونود ان يتمتع كل اديب ومتأدب بهذا الديوان . وحبذا لو رتَّب قصائدهُ حسب تواريخها لانها تاريخ لوطنهِ كما هي تاريخ لافكارهِ وآرائهِ

الموازنة بين الشعراء

وفيهِ أبحاث في اصول النقد واسرار البيان. للدكتور زكي مبارك

الذين قرأوا هذه الفصول وهي تنشر في المقتطف كما قرأناها رأوا فيها نوعاً من النقد لا يستطيعهُ الاَّ من كان مثل المؤلف شاعراً واسع الرواية دقيق الملاحظة . وودوا ان تطبع في كتاب على حدة لكي يسهل درسها والرجوع اليها فان فيها من الاحكام العقلية الدقيقة ما يستولي على العقل وتطرب لهُ النفس ومن تحليل الشعر ما يري القارئ شؤوناً لم يكن يراها فيهِ . وقد قال المؤلف ان الادباء كانوا في مختلف العصور يهتمون بالموازنة بين مَن ينبغون من الشعراء في عصر واحد فوازنوا بين امرىء القيس والنابغة وزهير والاعشى في الجاهلية وبين جرير والفرزدق والاخطل في الدولة الاموية . وبين ابي نواس ومسلم بن الوليد وابي العتاهية . وبين ابن المعتز وابن الرومي . وبين ابي تمام والبحتري في الدولة العباسية » . وقد اطلعنا على بعض هذه الموازنات فلم نرَ فيها ما تفيد مطالعتهُ وترتاح النفس اليهِ كما رأينا في هذه الفصول كأنَّ الاقدمين من اصحاب الموازنة لم يتصفوا بالاوصاف التي ذكرها المؤلف واشترط ان تكون في مَن يتصدر للموازنة بين الشعراء وهي « ان يصل الى درجة عليا من فهم الادب وان يصح ولهُ في النقد حاسَّة فنية تصرفهُ عند الحكم عن كل ما يفسدهُ من الاهواء والاغراض » . ثم فصَّل مرادهُ بهذه الصفات تفصيلاً يحسب من ابواب الفلسفة العقلية كتفصيلهِ الحاسة الفنية . وبعد ان اسهب في حقيقة النقد وشروطهِ وما يراد بالشعر والصور الشعرية واختلافها واختلاف المعاني والاغراض والتمثيل على ذلك كلهِ من اشعار العرب انتقل الى الموازنة بين بعض الشعراء الاقدمين والمحدثين فذكر اولاً الحصري صاحب « يا ليل الصب متى غده » وشاعرنا شوقي صاحب « مضناك جفاهُ مرقدهُ » التي عارض بها قصيدة « يا ليل الصب » بعد ان عرَّفنا من هو الحصري . ثم وازن بين البحتري وشوقي بعد ان اسهب

في ترجمة البحتري و بيتين وفي وصف شوقي ايضاً وايّد وصفهُ بوصف الاستاذ خليل مطران لهُ ثم ربط وصف كلٍّ منهما بشعرهِ الى ان وصل الى سينية البحتري وسينية شوقي فجعلها محوراً للموازنة. وانتقل الى الموازنة بين شوقي واليوصيري وكاد يحصر الموازنة بين البردة و بين ميمية شوقي وفضل ميمية شوقي من كل وجه . ولكن هل تشتهر اشتهار البردة ؟

ويلي ذلك فصل في الموازنة بين ابي نواس وابن دراج فيهِ نفحة من الادب الاندلسي و بها ختم الكتاب. ولا نظن ان اديباً من ابناء العربية يرضى ان لا يكون هذا الكتاب بين كتبهِ وفي ايادي اولادهِ وهو ٢٥٨ صفحة بقطع المقتطف وثمنهُ ١٥ غرشاً

مذكرة الجيب الهندسية

لواضعها ابرهيم افندي زكي المهندس

قرظنا هذه المذكرة حينما ظهرت في طبعتها الاولى في مقتطف ابريل سنة ١٩٠٤ وقلنا « لو لم تكن فائدة هذا الكتاب محصورة في المهندسين لقلنا انهُ افيد كتب الشهر لانهُ لم يصل الى يدنا هذا الشهر كتاب يوازيهِ فائدة ولا رأينا منذ زمن طويل كتاباً تعب مؤلفهُ في جمعهِ وطبعهِ تعب مؤلف هذا الكتاب » والآن قد طبع طبعة ثالثة بحرف واضح

الدروس الزراعية

يسرنا ما نراهُ من الاهتمام بالزراعة في ربوع الشام وتأليف الكتب القيمة فيها لان ثروة البلاد ومعيشة اهلها متوقفتان على الزراعة خاصة . وربوع الشام صالحة لكل انواع المزروعات لانها جامعة بين الاقاليم الحارة والمعتدلة والباردة من ساحل بحر الروم وغور الاردن الى جرود لبنان

الكتاب الذي امامنا الآن الفهُ السيد وصفي زكريا مدير المدارس الزراعية السابق في سورية وفلسطين وقد جمع فيهِ خلاصة النظريات الفنية في علم النبات والكيميا الزراعية والظواهر الجوية والزراعة العامة والخاصة والصناعات الزراعية كتربية دود الحرير والنحل والمواشي والاقتصاد الزراعي وقد اوضحهُ بكثير من الصور . وعسى ان يضاف الى كل مدرسة من المدارس التي تعلم علم الزراعة حقل واسع يقرن التلامذة فيهِ العلم بالعمل فاذا درسوا هذا الكتاب وعملوا بايديهم في تطبيق قواعدهِ فالغالب انهم يعشقون الزراعة ومن ذلك اكبر فائدة لهم ولبلادهم